



HAL
open science

الحفريات الأثرية بالحاضرة الحمادية الأولى بين الذاكرة و التاريخ علاوة عمارة، Allaoua Amara

► To cite this version:

الحفريات الأثرية بالحاضرة الحمادية الأولى بين الذاكرة و التاريخ. .علاوة عمارة،
Revue des Lettres et Sciences humaines, 2008, 5 (1), pp.33-44. <10.37138/jarh.v5i9.2371>. <hal-04080952>

HAL Id: hal-04080952

<https://hal.science/hal-04080952v1>

Submitted on 25 Apr 2023

HAL is a multi-disciplinary open access archive for the deposit and dissemination of scientific research documents, whether they are published or not. The documents may come from teaching and research institutions in France or abroad, or from public or private research centers.

L'archive ouverte pluridisciplinaire **HAL**, est destinée au dépôt et à la diffusion de documents scientifiques de niveau recherche, publiés ou non, émanant des établissements d'enseignement et de recherche français ou étrangers, des laboratoires publics ou privés.



Distributed under a Creative Commons CC BY-NC-SA 4.0 - Attribution - Non-commercial use - ShareAlike - International License

مجلة الآداب

و العلوم الإنسانية

دورية علمية محكمة تصدرها كلية الآداب و العلوم الإنسانية
جامعة الأمر عبد القادر للعلوم الإسلامية - فسنطينة -

العدد التاسع محرم 1429 / جانفي 2008

رسمك I.S.S.N: 1112 - 4628

الحفريات الأثرية بالحاضرة الحمادية الأولى بين الذاكرة والتاريخ

د. علاوة عمارة

جامعة الأمير عبد القادر - قسنطينة

عرفت الحاضرة الحمادية بقلعتها ومدينتها فترة ازدهار قصيرة مقارنة بالحواضر الإسلامية الكبرى في العصر الوسيط، لأسباب ارتبطت أساسا بالعلاقة الوظيفية بين السلطة السياسية وبين الازدهار العمراني. فبعد أن شكلت لمدة زمنية تجاوزت الستين سنة العاصمة السياسية والاقتصادية للإمارة الحمادية، فإنها بدأت تدريجيا تفقد مكانتها لصالح بجاية الناصرية. فقد استقطبت هذه الأخيرة النخب السياسية والعلمية والمهنية والتجارية لمدينة القلعة، لتشكل في النهاية ما يشبه قطب "المغرب الأوسط"، المتحكم في محيط جغرافي واقتصادي وثقافي واسع. وتدهورت وضعية القنعة بصورة أكثر في الربع الأول من القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، بعد إقدام العائلة الحاكمة على تعزيز مكانة بجاية المنفتحة على فضاء بحري متوسطي على حساب العاصمة الأولى المهددة باستمرار بخطر هجمات البدو الهلاليين. وفي حدود سنة 1148/543، نقل الأمير يحيى بن العزيز آخر الأملاك العائلية بمدينة القلعة لتؤكد المكانة الهامشية التي أصبحت عليها العاصمة الأولى للحماديين، وقرابة خمس سنوات بعد ذلك تعرضت المدينة لعملية تخريبية تحت غطاء "الفتح الموحدية"، عندما استيحت من طرف الجيش الموحدية وسبي العديد من سكانها. وشكل هذا التاريخ شبه قطيعة في تاريخ القلعة على اعتبار أنها

فقدت نسيجها العمراني بشكل كبير على الرغم من بقاء الحياة البشرية بالمدينة لمدة أربعة قرون بعد ذلك¹.

لقد تعرف ابن خلدون على معالم القلعة في منتصف القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، وجعل من مئذنة الجامع الأعظم بمثابة رمز للفن الصنهاجي. ليشكل هذا المعلم الديني مكاناً للذاكرة الجماعية (Un lieu de mémoire) إلى غاية الاحتلال الفرنسي. فقد تعرف المستكشف الفرنسي ميكاس (Méquesse) على الموقع سنة 1869 وجمع مجموعة من الروايات الشفوية التي ارتبطت بثلاث معالم قلعية: منارة الجامع الأعظم، وبرج المنار، وضريح الولي سيدي بلفضل (أبو الفضل يوسف بن النحوي)، والتي شكلت أمكنة للاجتماع السكاني (Lieux de sociabilité) لمنطقة المعاسيد لعدة قرون. لقد كان لنشر ميكاس لبعض الأسطر التعريفية في المجلة الإفريقية² سنة 1886 البداية الأولى لاهتمام الباحثين والمستكشفين الفرنسيين بأثار مدينة القلعة، وكانت البداية مع بول بلونشي.

1897: بول بلونشي (Paul Blanchet): استكشافات ومخططات غير نهائية

يعتبر بول بلونشي أول باحث فرنسي قام باستكشاف وفحص معالم العاصمة الأولى للحمايين. فقد قام في الفترة الممتدة من 15 إلى 25 أبريل 1897 باستكشاف ورسم مخططات الموقع والمعالم بدون إجراء حفريات تذكر. لكن هذا العمل الأولي هو الذي بلور في النهاية الصورة الطبوغرافية التي نجدها في تقارير الحفريات اللاحقة. فقد اعتمد بلونشي، الغير متقن للغة العربية، على مجموعة من الروايات الشفوية في التعرف على بقايا معالم المدينة من خلال اتصالاته بـ"الأهالي" القاطنين ببلدية المعاسيد المختلطة. لقد رسم المخطط

¹ راجع مقالنا المنشور بمجلة الآثار الإسلامية:

Allaoua Amara, « La Qal'a des Banī Hammād : l'histoire d'un déclin » dans *Archéologie islamique*, 11, (2001) p. 91-110.

² L. Méquesse, « Notice sur la Kafaa des Beni-Hammad » dans *Revue Africaine*, XXX, (1886) p. 294-311.

الرئيسي للعاصمة الأولى للحماديين انطلاقاً من معطيات غير تاريخية وهي التي ستصبح القاعدة الرئيسية لجميع الحفريات التي أجريت بالقلعة. لقد ركز بلونشي على تشابه المعالم الحمادية مع معالم صقلية النورمانية.

لم يتمكن بلونشي من التمييز بين مدينة وقلعة العاصمة الحمادية بالرغم من وجود بقايا السور الفاصل بين الموقعين؛ لكنه شدد على أهمية الموقع والمعالم التي فحصها: الأسوار، النافورة العمومية، جسر سيدي عيسى، مئذنة المسجد الجامع، برج المنار، و"قصر الإمارة". وقدم بلونشي نتائج حفرياته إلى أكاديمية التسجيلات والآداب الجميلة بباريس (Académie des Inscriptions et Belles-Lettres) ونشر مجموعة من نتائجه الأولية في مقال نشر في المجلة التي تصدرها الجمعية الأثرية لعمالة قسنطينة تحت عنوان "تقرير حول الأعمال المنجزة في قلعة بني حماد"³.

لقد اختفى بلونشي بدون إكمال عمله حول العاصمة الحمادية، لكنه ترك مخططات ووثائق في منزله وبأرشيف أكاديمية الآداب الجميلة، وهذا ما شجع أرشيل رويار (Archille Robert) رئيس بلدية المعاضيد في تلك الفترة على نشر نتائج حفريات بلونشي في المقال الموسوم بـ "القلعة وتحمامين" بمجلة الجمعية الأثرية لعمالة قسنطينة⁴، وتبعه المهندس المستشرق صلدان (H. Saladin) في مقال ثان تحت عنوان "ملاحظة ثانية حول المعالم العربية لقلعة بني حماد، بلدية المعاضيد المختلطة بمقاطعة قسنطينة" بالنشرية الأثرية للجنة الأعمال الأثرية والعلمية (1905)⁵.

³ P. Blanchet, « Rapport sur les travaux exécutés à la Kalaa des Beni-Hammad » dans *Recueil des Notices et Mémoires de la Société Archéologique du Département de Constantine*, XXXII, (1898) p. 97-116.

⁴ A. Robert, « La Kalaa et Tihamamine » dans *Recueil des Notices et Mémoires de la Société Archéologique du Département de Constantine*, 37, (1903) p. 217-268.

⁵ H. Saladin, « Deuxième note sur les monuments arabes de la Kalaa des Beni Hammad, commune mixte des Maadid, province de Constantine » dans *Bulletin*

1908: الجنرال دوبليي (Le Général de Beylié) وبداية الحفريات

بتوجيه من المهندس صلدان قام الجنرال دوبليي بإجراء أول حملة حفريات أثرية بالعاصمة الأولى للحماديين سنة 1908، وهذا بمساعدة الباحث الأثري المعروف جورج مارسسي (Georges Marçais)، الذي كان في تلك الفترة أستاذا بمدرسة قسنطينة، وثمانين عاملا "أهليا".

انطلاقا من النتائج التي توصل إليها بلونشي، قام الجنرال دوبليي بإجراء حفريات استغرقت ثلاثة أشهر شملت المباني الأميرية ومنارة الجامع الأعظم والتي تمكن من خلالها من وضع مخططات لمنارة المسجد، وبرج المنار، والمباني الأميرية الواقعة شمال الجامع الأعظم. وتمكن في النهاية من جمع العديد من قطع الفخار والخزف والحديد وقطعة نقدية واحدة. لكن الملفت للنظر أن دوبليي لم يتمكن من إعادة رسم مخطط الموقع واكتفى بنقل نتائج بلونشي الغير منشورة ونسبها لنفسه، ودعم معطياته الأثرية بعبارات منقولة عن "عبر ابن خلدون" المترجمة من طرف البارون دوسلان. وارتكب أخطاء عديدة في قراءة النقوش العربية خصوصا عندما نسب دينار فاطمي اكتشفه للأمير الحمادي يحيى بن العزيز مستنجدا بالوصف الخلدوني للدينار الحمادي.

لقد ظهر دوبليي في صورة الهاوي وليس في مهنة الأثري الأكاديمي، ولكن ما يمكن القول بأن إنجاز حفريات حول الآثار الإسلامية في فترة الحفريات الكبرى الخاصة بخدمة فكرة "روما المنتصرة"، لم يكن بالأمر الهين، بل إن منارة الجامع الأعظم رُممت بناءا على تقارير دوبليي عام 1909. وكان هدف صاحب الحفريات في البداية هو الوصول لتأكيد "الخصوصية البربرية" للمنطقة وعلاقتها بالموروث الروماني والبيزنطي، من خلال مغالطة الترجمة

التي نسبت هندسة بناء القلعة إلى العبد المهندس "بونياش". وهو ما لم يتمكن من الوصول إليه في النهاية.

لقد نشر دوبلي نتائج حفرياته في مقال أولي تحت عنوان "عاصمة بربرية في القرن الحادي عشر" في الجريدة الآسيوية (1908)⁶ ثم نشر تقريره النهائي في كتاب جمع بين التاريخ والآثار والذاكرة عام 1909 تحت عنوان "قلعة بني حماد، عاصمة بربرية لأفريقيا الشمالية في القرن الحادي عشر"⁷.

لم يكن الجنرال دوبلي لوحده من اهتم بالقلعة في زمنه، بل نجد أن مجموعة من الأثريين الهواة الفرنسيين قد اهتموا بنتائج حفرياته إما ترويحاً أو تكملة لدراسته، ومن بين هؤلاء نجد ميشو بلار (E. Michaux-Bellaire) في مقال تعريفى صادر عام 1908 تحت عنوان "قلعة بني حماد، عاصمة بربرية للجزائر في القرن الحادي عشر: حفريات منجزة عام 1908 من طرف الجنرال دوبلي"⁸. كما واصل أرشيل رويار نشر دراسات حول القلعة انطلاقاً من حفريات دوبلي خصوصاً سنتي 1909 و1922 في مقالين: الأول يحمل عنوان "قلعة بني حماد" وصدر بمجلة الجمعية الأثرية لعمالة قسنطينة⁹ والثاني بعنوان "ملاحظات حول الفخار والخزف ومختلف أواني قلعة بني حماد" وصدر بنفس المجلة¹⁰.

⁶ « Une capitale berbère au XI^e siècle » dans *Journal Asiatique*, septembre – octobre 1908, p. 193-211.

⁷ *La Kalaa des Beni Hammad. une capitale berbère de l'Afrique du Nord au XI^e siècle*, Paris, Ernest Leroux, 1909, 124 p.+XXXVII planches.

⁸ E. Michaux-Bellaire, « La Kalaa des Beni-Hammad, capitale berbère de l'Algérie au XI^e siècle. fouilles exécutées en 1908 par le général de Beylié » dans *Revue du Monde Musulman*, 5, (1908) p. 500-502.

⁹ A. Robert, « La Kalaa des Beni-Hammad (Maadid) » dans *Recueil des Notices et Mémoires de la Société Archéologique du Département de Constantine*, 43, (1909) p. 97-100.

¹⁰ A. Robert, « Notes sur la céramique, les marbres, les stucs et objets divers de la Kalâa des Beni-Hammad » dans *Recueil des Notices et Mémoires de la Société historique et Géographique du Département de Constantine*, 53, (1921-1922) p. 199-241.

وخص جورج مارسى، المساعد الرئيسي لدوبليي، خزف وأواني القلعة
بمجموعة من الدراسات الأثرية صدرت بين سنتي 1908 و1938 منها:
- "قلعة بني حماد من خلال نشريتين صدرتا مؤخرا" بمجلة الجمعية الأثرية
لعمالة قسنطينة¹¹.

- فخار وزليج قلعة بني حماد (القرن الحادي عشر)، كتاب صادر سنة 1913
بقسنطينة¹².

- "حول أسد من الرخام وجد بقلعة بني حماد"، بالمجلة الإفريقية¹³.
وفي الأخير نقل صلدان بعض نتائج حفريات دوبليي ونشرها في مقال
صدر عام 1909 بجريدة العلماء، وهو في أساسه مقال تعريفى بالعاصمة الأولى
للحماديين¹⁴.

1951-1962: لسيان غولفان (Lucien Golvin): حفريات بدون تغيير عميق في
المعطيات الطبوغرافية.

من ناحية الامتداد الزمني والجغرافي تعتبر حفريات لسيان غولفان
الأهم في تاريخ العاصمة الحمادية الأولى، لكن من الناحية العملية لم تأت
بالجديد فيما يخص طبوغرافية الموقع وربط الاكتشافات الأثرية بالمعطيات
التاريخية.

لقد قرر غولفان وبمساعدة عشرات العمال إجراء حفريات بالقلعة
مكملة لعمل الجنرال دوبليي بداية من أكتوبر 1951 وهذا في إطار تحضيره
لشهادة دكتوراه مكملة في الآثار. وتابع حملاته طوال شهري جوان وأكتوبر

¹¹ « La Kalaa des Beni-Hammâd d'après deux publications récentes » dans *Recueil des Notices et Mémoires de la Société Archéologique du Département de Constantine*, XXXII, (1908) p. 161-187.

¹² *Les poteries et faïences de la Qal'a des Beni Hammâd (XI^e siècle)*, Constantine, D. Braham, éditeur, 1913, 33 p.+XXIII planches.

¹³ « Sur un lion de marbre trouvé à la Qal'a des Beni Hammad » dans *Revue Africaine*, 379, (1939) p. 182-191.

¹⁴ H. Saladin, « La Kalaa des Beni-Hammad » dans *Journal des savants*, (1909) p. 255-260.

لسنوات 1952-1956 قبل أن تنقطع بين 1956 و1960 بسبب ظروف الحرب التحريرية لتستأنف ثانية بين سنتي 1960-1962. لقد تمكن غولفان طوال هذه الفترة الطويلة من اكتشاف قصري السلام والمنار ومن تعديل مخططات بعض البناءات الأميرية التي أنجزها سابقه دوبليي. وتمكن كذلك من العثور على بقايا المواجهل ودور الخزائن والعديد من القطع الفخارية وكذلك العديد من القطع النقدية الفاطمية. لتشكل مكتشفاته "تكملة" لعمل سابقه من دون الوصول إلى تعديل جوهرى في المخطط العام الذي رسمه بلونشي ثم دوبليي.

نشر غولفان نتائج حفرياته في كتابين: الأول حوصل فيه تقارير حفرياته إلى غاية 1956 وأضاف إليها دراسة تاريخية ونشره تحت عنوان "المغرب الأوسط في عهد الزيريين، أبحاث في الآثار والتاريخ"¹⁵. والكتاب الثاني حوصل به كافة النتائج المتوصل إليها في حفرياته إلى غاية 1962 وصدر بباريس عام 1965 بعنوان "أبحاث أثرية بقلعة بني حماد"¹⁶. كما نشر عدة مقالات وعلى فترات مختلفة حول الفن المعماري الصنهاجي منها على الخصوص:

- "ملاحظة حول بعض القطع الجبسية عثر عليها مؤخرا بقلعة بني حماد" وهو مقال صادر في إطار "بحوث مهداة لجورج مارسى"¹⁷.

- "ملاحظة حول زخرفة الواجهات في بلاد البربر الشرقية في الفترة الصنهاجية" وقد نشر هذا المقال ضمن بحوث مهداة لأفريست ليفي بروفنصال (Evariste Levi-Provençal)¹⁸.

¹⁵ *Le Maghreb central à l'époque des Zirides, recherches d'archéologie et d'histoire*, Paris, arts et métiers graphiques, 1957, 259 p.

¹⁶ *Recherches archéologiques à la Qal'a des Banû Hammâd*, Paris, G. P. Maisonneuve et Larose, 1965, 311 p.+CX planches.

¹⁷ « Note sur quelques fragments de plâtre trouvés récemment à la Qal'a des Beni Hammad » dans *Mélanges G. Marçais*, Paris, imprimerie officielle, 1957, vol. II, p. 75-94.

1964-1971: رشيد بورويبة: التركيز على المنار و"القلعة الموحدية"

بقرار من السيد لاسيس (Lassus) عميد كلية الآداب بجامعة الجزائر باستئناف حفريات العاصمة الأولى للحمايين؛ أسندت هذه المهمة للباحث الأثري رشيد بورويبة بداية من سنة 1964. لقد نظم هذا الأخير حملات تنقيبية بمساعدة بعض زملائه وبالعديد من العمال والتي أدت في النهاية إلى إضافات جزئية لنتائج الحفريات السابقة خصوصا قاعة الصلاة بالجامع الأعظم التي عثر فيها على العديد من النقود الموحدية، التي تمثل شاهد مادي على بقاء الحياة بالقلعة في زمن الموحيدين. وفي سبتمبر 1968، تمكن رشيد بورويبة وبمساعدة دكالي وحفيان وتغليسية من تنقيب الواجهة الشمالية لقصر المنار وجزء من الفناء وتم العثور على محراب صغير، قام السيد بويعقوب بترميمه. وفي عام 1971 تم تنقيب الجزء الغربي من قصر المنار حيث عثر فيه على عدد كبير من القطع الأثرية. وقد عد بورويبة عدد القطع المكتشفة طوال حملات التنقيب التي أجراها بحوالي 750 قطعة من الفخار والحديد والحصى والرخام والزجاج والنقود الفاطمية والموحدية، إضافة إلى العديد من التيجان والأعمدة.

لقد نشر بورويبة نتائج حفرياته على شكل تقارير دورية صادرة بالنشرة الأثرية الجزائرية وأحيانا بدوريات أجنبية:

1965: "تقرير أولي حول حملة تنقيبات سبتمبر 1964 في قلعة بني حماد"¹⁹

1970: "حول مصلى صغير اكتشف في قلعة بني حماد"²⁰

1970: "حول ست تيجان عثر عليها في قلعة بني حماد"²¹

¹⁸ « Note sur le décor des façades en Berbérie orientale à la période *shanhâgienne* » dans *Etudes d'orientalisme dédiées à la mémoire de Lévi-Provençal*, Paris, 1962, vol. II, p. 11-51.

¹⁹ « Rapport préliminaire sur la campagne de fouilles de septembre 1964 à la Kalaa des Banī Hammād » dans *Bulletin d'Archéologie Algérienne*, I, (1962-1965) p. 243-261.

²⁰ « Sur un petit oratoire mis au jour à la Qal'a des Bani Hammad » da *Bulletin d'Archéologie Algérienne*, IV, (1970) p. 419-434.

1970: "نقود وحلي عشر عليها بقلعة بني حماد"²²

1972: "محايرب حمادية"²³

1974: "قطع من الجص والحجر المنحوت عشر عليها بقلعة بني حماد"²⁴.

1974: "ملاحظة حول نافورة عشر عليها بقصر المنار بقلعة بني حماد"²⁵

1974: "القاعة الشرفية لقصر المنار الغربي"²⁶

وفي النهاية حوصل بورويبة نتائج تقيياته في كتاب صدر باللغة الفرنسية يحمل عنوان "الحماديون"²⁷، ثم ترجم إلى العربية بعنوان "الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها"، محاولا وضع نتائج حفريات في نسق تاريخي اعتمادا على بعض المصادر العربية الوصفية والسردية وخصوصا على دراسة الهادي روجي إدريس (Hady Roger Idris) الموسومة بـ "بلاد البربر الشرقية في العهد الزيري"، الصادرة بباريس عام 1959 (ط 2، 1962)²⁸.

وقام الأثري الفرنسي ألكسندر ليزين (Alexandre Lézine) بنشر دراسة اعتمادا على نتائج تقييات بورويبة عندما زار هذا الأخير بالقلعة. وأصدر مقال موسوم بـ "منارة قلعة بني حماد" في النشرة الأثرية الجزائرية عام 1967²⁹.

²¹ « Sur six chapiteaux trouvés à la Qal'a des Bani Hammad » dans *Bulletin d'Archéologie Algérienne*, IV, (1970) p. 435-444.

²² « Monnaies et bijoux trouvés à la Qal'a des Bani Hammad » dans *Revue de l'Occident Musulman et de la Méditerranée*, numéro spécial, (1970) p. 67-77.

²³ « Mihrab hammadides » dans *Revue des Etudes Islamiques*, XL, fasc. 2, (1972) p. 329-342.

²⁴ « Objets de plâtre et pierre sculptée mis au jour à la Qal'a des Bani Hammad » dans *Bulletin d'Archéologie Algérienne*, V, (1971-1974) p. 223-233.

²⁵ « Note sur une vasque de pierre trouvée au palais du Manâr de la Qal'a des Bani Hammad » dans *Bulletin d'Archéologie Algérienne*, V, (1971-1974) p. 235-245.

²⁶ « La salle d'honneur du palais ouest du Manâr » dans *Bulletin d'Archéologie Algérienne*, V, (1971-1974) p. 247-260.

²⁷ *Les H'ammadides*, Alger, E.N.A.L., 1984, 320 p.

²⁸ Hady Roger Idris, *La Berbérie orientale sous les Zirides X-XII^e siècles*, Paris, Adrien-Maisonneuve, 1962, 2 vol., 895 p.

²⁹ A. Lézine, « Le minaret de la Qal'a des Banu Hammad » dans *Bulletin d'Archéologie Algérienne*, II, (1966-1967) p. 261-270.

1974-1980: من الحفريات المتقطعة إلى اليونسكو

بعد قرابة الأربع سنوات من انقطاع الحفريات، حاول بعض الأثريين إحياء عمليات التنقيب الأثري بالموقع الحمادي من بينهم عبد الرحمان خليفة وبمساعدة معطاوي، دحماني وزرزقي من الجزائر، وشعابي وعجايبي من تونس. غير أن هذه الحملة التي نظمت من 10 إلى 20 جويلية 1974 لم تستمر طويلا واكتفت بجمع العديد من قطع الفخار والنقود وكذلك الحلبي³⁰. ومنذ هذا التاريخ لم يتم إجراء تنقيبات مهمة وتم الاكتفاء بتنظيم حملات استكشافية في إطار عملية تكوين طلبة علم الآثار.

وفي عام 1980 تم تسجيل موقع العاصمة الأولى للحماديين في التراث العالمي لليونسكو بعد تقديم ملف يوضح القيمة التاريخية والأثرية للموقع، غير أن النتيجة لم تكن إيجابية في الحفاظ على الموقع لأنه لم يخضع لعناية كافية مقارنة بدور اليونسكو في تمويل عمليات الحفاظ على معالم تاريخية أخرى.

وفي عام 1987 تمكنت البعثة الأثرية البولونية من القيام باستكشافات وترميم بعض الجدران المهددة بالانهيار، لكن هذا العمل لم يستمر، وترك موقع القلعة بدون عناية وبقي مجالا لبعض المهتمين الزائرين للموقع في إطار استكشافات علمية أو هاوية، ومن بين الأسماء التي حاولت التعريف بالقيمة التاريخية للموقع نجد الأثرية الفرنسية ماريان بريكو (Marianne Barrucand) عام 1990 التي صورت العديد من المعالم الحمادية ووضعتها في الموقع الإلكتروني لجامعة باريس الرابعة. كما نجد كذلك راجلس فايرتشيلد Ruggles Fairchild الذي نشر مقالا عام 1994 حول "النظرة والحكم بقلعة بني حماد في إفريقيا الشمالية الإسلامية"³¹.

³⁰ Baghli Sid Ahmad, « Recherches et travaux en 1975-1976 », dans *Bulle d'Archéologie Algérienne*, VI, (1975-1976), p. 11-12.

³¹ Ruggles Fairchild, « Vision and Power at the Qal'a Banī Hammad in Is North Africa » dans *Journal of Garden History*, 14, (1994) p. 28-41.

الخاتمة: تقييم وآفاق

في ختام هذا التقييم السريع يمكن القول وبدون تردد بأن التنظيم الطبوغرافي للعاصمة الحمادية الأولى بقيا مجهولا لغياب معطيات تاريخية شبيهة بالخطط المقرزية، وعلى هذا الأساس فالمكتشفات الأثرية ينقصها النسق التاريخي، وهو ما جعل في النهاية تاريخ الحاضرة الحمادية يرسم انطلاقا من بقايا أثرية وذاكرة شعبية تعود إلى الربع الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي. فمثلا لا نجد أثرا كتابيا لمعظم الأسماء التي أطلقتها الرواية الشفوية ومن ورائها الأثريين على القصور الحمادية. فلم يكن ممكنا لدى الأثريين الذين تعاقبوا على تنقيب الموقع التمييز بين المدينة والقلعة لدى الحماديين، وهو ما حاولنا إثباته في دراسات سابقة.

كما أن المناطق التي أجريت بها الحفريات لم تتعد بعض البناءات الأميرية والمسجد الجامع وعلى هذا الأساس فالموقع يحتاج الآن إلى تنقيب دقيق ومنهجي يأخذ بعين الاعتبار البناءات الجديدة، التي أظهرتها العوامل الطبيعية والبشرية، وبقية الأحياء السكنية. فالمدينة وجزء من القلعة هما باختصار تحت التراب.

إن الموقع الأثري الحمادي هو في حالة يرثى لها والمعالم التي شملتها التنقيبات مهددة بالاختفاء بسبب الظروف الطبيعية والعمل الهمجي الذي تتعرض له نتيجة الإهمال والزيارات الفوضوية. فالحل الأمثل هو الحفاظ على ما هو موجود على الأرض قبل الشروع في حفريات جديدة قد تكشف لنا عن معلومات مهمة لمعرفة خفايا التاريخ الحمادي بصفة عامة وتاريخ منطقة المسيلة بصفة خاصة.

